

موقف جون ديوي من القيم الأخلاقية

John Dewey's position on Moral values

ثامر زروقي.

المركز الجامعي آفلو؛ الأغواط (الجزائر).

البريد الإلكتروني: thamerdz2012@gmail.com

تاريخ الإرسال: 21/06/04؛ تاريخ القبول: 22/04/21؛ تاريخ النشر: 22/06/01

الملخص:

نحاول من خلال هذه الورقة البحثية تسليط الضوء على القيم الأخلاقية في الفكر الفلسفي المعاصر، وتقديم رؤية المفكر "جون ديوي" لمسألة القيم الأخلاقية، حيث تناولها بالتحليل من جهة وجودها وطبيعتها وعلاقتها بالوجود الإنساني، وحاولنا الإجابة عن الأسئلة الآتية: كيف عالج المفكر "جون ديوي" طبيعة القيم الأخلاقية؟ وماهي المنهجية التي ارتكز عليها؟

الكلمات المفتاحية: القيم الأخلاقية ؛ العلم ؛ ذاتية ؛ نسبية ؛ الإنسان .

Abstract:

Try this paper through ,to grant power light ,on Moral values in Contemporary philosophical thought, to present " John Dewey " thinker ' vision ' The problem of moral values. Which dealt with Hand analysis Existence and nature, And their relationship to human existence, We have tried to answer the following questions: How to treat a thinker" John Dewey "

nature of moral values? What the methodology was based on?.

Key words: Moral values; Science; Relativism; Subjectivity; Human.

مقدمة:

إن إشكالية الأخلاق من الإشكاليات ذات الارتباط الجوهرية بالفكر الفلسفي ببعديه النظري والعملي على حد سواء، والتي لم يعد ينظر إليها باعتبارها مبحثاً فرعياً من مباحث الفلسفة وحسب، بل صارت سؤال الفلسفة برمتها. فقد انشغلت الفلسفة بوجه عام بسؤالين أساسيين هما: ماذا نستطيع أن نعرف؟ وماذا يجب أن نفعل؟

فاهتم السؤال الأول بالمشكلات العلمية وما تثيره من قضايا وما يتصل بالإنسان بالعالم الخارجي، وينتهي باتخاذ موقف فلسفي، يحدد المبادئ والأسس العامة، ويستكمل ما يثيره الموقف العلمي من فجوات، بل ويتجاوز الموقف العلمي في شكل نظرة ميتافيزيقية شاملة. وفي السؤال الثاني يسعى الفكر الإنساني إلى إنشاء مذهب أخلاقي، والانتقال من التأمل الخالص إلى العمل من خلال ما توصل إليه عن الكون والإنسان. وكما أن لكل فلسفة رؤية خاصة محددة ومشروعة، فإن للمذاهب الأخلاقية مراحلها التي تعكس الاتجاه العام للعقل الإنساني. وإذا كانت الفلسفة بوجه عام قد عرفت ثلاثة وجهات نظر كبرى وهي: وجهة نظر مثالية ذاتية والمثالية الموضوعية ووجهة نظر الطبيعية الواقعية التي تعترف بالوجود الحقيقي للظواهر، فإن الأخلاق، قد عرفت بدورها ثلاث اتجاهات في حل المشكلات الأخلاقية:

أولاً. الاتجاه المتعالي: سواء كان علمانياً أو دينياً، يرى أن الأخلاق ليست بحاجة لمن يخترعها، لأنها سابقة لوجودها وعلى الفكر أن يكتشفها فحسب، وهي مجموعة قواعد تعتمد على مبادئ عامة مستقلة عن عقل الشخص الفكر أو هي من صنع الإله.

ثانياً. اتجاه طبيعي: يربط الأخلاق بالعلم اعتماداً على العلاقة بين تطور العقل وتطور الأخلاق منذ نادى بها (سقراط) قديماً، حتى مفكري القرن التاسع عشر عند (فيكتور هيجو) وغيرهم، حيث اتخذت شعاراً: "فتح مدرسة معناه إغلاق سجن"، تعدد المحاولات في إنشاء نظرية أخلاقية علمية منها ما يعتمد على العلوم الميتافيزيقية (توماس هوبز) أو إنسانية تعتمد على علم النفس عند (دافيد هيوم، وجون ستيوارت مل) أو علم الأحياء عند (هربرت سبينسر)، ثم جاءت الماركسية لتجمع بين هذه المواقف الثلاثة وتضيف المدرسة الاجتماعية (أوغست كونت، وإميل دوركايم).

ثالثاً. اتجاه: يركز على فاعلية الأخلاق وعلاقتها بالعوامل النفسية والعاطفية، أي الربط بين الشعور الإنساني والضمير الأخلاقي، أي ربط الضمير الأخلاقي بعلم النفس دون أن ينظر إلى هذا العلم كقاعدة كما ذهب الاتجاه الطبيعي، ولكن كبديل قد أصبح الشعور الأخلاقي باطنياً بعد أن كان خاضعاً لنظام علوي متعالي. وفي هذا البحث نرصد رؤية البراغماتيين للقيم الأخلاقية من خلال أحد أعلامها البارزين وهو "جون ديوي"، فإلى ترى ما هو موقف "جون ديوي" من مسألة القيم الأخلاقية؟ وما طبيعة ووظيفة الأخلاق عند ديوي؟ وكيف تنشأ المشكلة الأخلاقية؟

ضبط معنى الأخلاق:

الدلالة اللغوية: من حيث المعنى اللغوي تعود كلمة أخلاق إلى مصطلح (*Morale*)، وأخلاق نظرية إلى (*Ethique*)، ذلك أن الإشتقاق اللغوي لكلمة (*Ethique*) يرجع للكلمة اليونانية (*Laethe*) التي تعني العادات الأخلاقية، بينما تعود كلمة أخلاق (*Morale*) إلى الكلمة اللاتينية (*Mores*) التي تعني الأعراف عبارة عن جملة الأوامر والنواهي المقررة عند مجتمع مخصوص في فترة مخصوصة" (عطية أحمد عبد الحليم، 2000: 174)؛ والكلمتان، وإن كانتا تتسمان بدلالات متقاربة وتحيلان إلى مضامين متشابهة كفكرة العادات الأخلاقية وسبل العمل التي يحددها الإستعمال، ومع ذلك فهناك تمايز بينهما، حيث "تتسم الإتيقا (*Ethique*) بالسمة النظرية، وتتجه نحو التفكير في أسس الأخلاق، أي أنها تبحث في قواعد السلوك من حيث تصورات عامة حول الخير والشر، فهي عبارة "عن العلم الذي ينظر في أحكام القيمة التي تتعلق بالأفعال، إما تحسينا أو تقييحا" (عبدالرحمن طه، 2000: 7-8).

وكلمة الأخلاق في اللغة العربية يراد بها: الطبع والسجية، والمروءة والدين، وحول هذه المعاني يقول الفيروز أبادي: "الخلق بالضم وضممتين السجية والطبع والمروءة والدين (أبادي الفيروز، 2005: 236)، ويقول ابن منظور: "الخلقُ والخلقُ السجية، فهو بضم الخاء وسكونها الدين والطبع والسجية. ويقول أيضا: إن الخلق هو صورة الإنسان الباطنة، أو مكونه النفسي الداخلي، بعبارة أخرى "الخلق" للنفس ك"الخلقة" للجسد"، والملاحظ أن "الخلق" بهذا المعنى غير "السلوك"، فهو: "ملكة" أو "هيئة في النفس" تصدر عنها الأفعال: فهي منبع

السلوك، أما السلوك فهو الممارسة الفعلية الصادرة عن المفهوم أو الصفة" (ابن منظور، 1992هـ: 1244-1245).

وجاءت كلمة الخلق في القرآن الكريم في موضعين في الله جل وعلا: "إِنَّ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ" (سورة الشعراء، الآية: 137)، بمعنى إن هذا الذي جئنا به إلا عادة الأولين، وخلق الأولين هنا بمعنى دينهم وعاداتهم وأخلاقهم ومذهبهم ودينهم وعاداتهم وأخلاقهم ومذهبهم. وفي قوله سبحانه وتعالى: "وَأَنَّكَ لَمَكِّي خُلُقٍ عَظِيمٍ" (سورة القلم، الآية: 4). قال ابن جرير الطبري: "يقول تعالى ذكره -لنبيه محمد (ﷺ): وإنك يا محمد، لعلى أدب عظيم. وقد تكررت الأحاديث النبوية في مدح حسن الخلق، حيث يقول الرسول (ﷺ): "إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ" (البخاري، الأدب المفرد، رقم: 273؛ الأزدي، عبد الله بن سيف، 2000: 17)، وقوله (ﷺ) أيضا: "أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا" (الترمذي، باب حق المرأة على زوجها، رقم: 1162؛ ابن حنبل، رقم: 7402؛ الألباني، رقم: 1232؛ القحطاني سعيد، 1429هـ: 92). ويطلق لفظ الأخلاق على جميع الأفعال الصادرة عن النفس محمودة كانت أو مذمومة.

الدلالة الإصطلاحية: عرف العلماء الأخلاق من الناحية الإصطلاحية بتعريفات كثيرة لا يتسع المجال لذكرها كلها، ولكن سنذكر أهم تلك التعريفات منها: ما جاء عند ابن مسكويه قال: "الأخلاق حال للنفس داعية لها إلى أفعالها من غير فكر ولا روية. وهذه الحال تنقسم إلى قسمين: منها ما يكون طبيعياً من أصل المزاج، كالإنسان الذي يحركه أدنى شيء نحو غضب ويهيج من أقل سبب، وكالإنسان الذي يجن من أيسر شيء كالذي يفزع من أدنى صوت

يطرق سمعة، أو يرتاع من خبر يسمعه، وكالذي يضحك ضحكاً مفرطاً من أي شيء يعجبه، وكالذي يغم ويحزن من أي شيء يناله. ومنها ما يكون مستفاداً بالعادة والتدريب، وربما كان مبدؤه الفكر، ثم يستمر عليه أولاً، فأولاً حتى يصير ملكة وخلقاً "ابن مسكويه، 1911: 41)، وعرفها أبو حامد الغزالي بأنها: "هيئة راسخة في النفس تصدر عنها الأفعال ببسر وسهولة من غير حاجة إلى فكر وروية (زيدان، عبدالكريم، 1408هـ: 79). وهناك من عرفها بأنها: "مجموعة المبادئ والقواعد المنظمة للسلوك الإنساني (ياجين المقداد، 1996: 75)، وعرفها إيمانويل كانت بأنها "سبب لمعرفتنا بالحرية، إلا أن الحرية هي سبب وجود الأخلاق" (محمود زكي نجيب، 2000: 10).

نحو مفهوم جديد للأخلاق:

لا يختلف اثنان مهما كانت نزعتهم على أن نظرية التطور البيولوجية، كانت من أهم الاتجاهات الفكرية وأشدّها تأثيراً على كل أفكار جون ديوي الفلسفية، وكانت السبب الرئيس لتحوّله من الكانطية والهيكلية المثالية المطلقة، التي وقع تحت تأثيرهما في فلسفته المبكرة إلى الواقعية التجريبية أو إن صح التعبير البراجماتية التطورية، حيث كان ديوي معنيا بتلك التطورات العلمية التي سادت القرن التاسع عشر وفجر القرن العشرين، خاصة علم الأحياء (البيولوجيا) وعلم النفس، إذ اقتنع اقتناعاً تاماً بأنه ينبغي على البيولوجيا أن تكون أساساً للبحث الفلسفي، وهذا ما حفزه إلى هجر الرياضيات والمنطق الصوري والميتافيزيقا كأساس للمعرفة وإعتبار البيولوجيا هي الأساس، ومن ثمة وصف ديوي فلسفته بأنها فلسفة طبيعية ذات نزعة تطورية وثقافية (Morton White, 1973: 43)، والتي

تتجلى معالمها بوضوح تام من خلال مقولات ديوي الفلسفية نفسها كمقولات العضوية والصراع والبيئة والنمو والتوافق التكيف والوظيفة والوسائل...الخ.

كل هذه المقولات مستمدة أساسا كما يقول: ديكهويزن "من علم الأحياء الدارويني" (3: 1957, DYKHUIZEN)، ومن هنا كانت محاولة جون ديوي الجادة لاستخلاص المفاهيم والأفكار التي ينطوي عليها المذهب التطوري بشكل منهجي، ذلك المذهب الذي لا يعتبر الإنسان جزءا من الطبيعة فحسب بل ومن نتائجها أيضا. ولكي تتضح لنا تلك العلاقة المتبادلة بين نظرية التطور والأخلاق لابد أن نقف على أبرز تلك الدراسات أو ما يطلق عليها ديوي أحيانا "المساهمة البيولوجية" في الأخلاق.

في عام 1886م أصدر ديوي مقالة بعنوان: "الأخلاق والعلم" وفيها هاجم رواد الأخلاق الفيزيقية الاجتماعية لإقامتهم الأخلاق على العلم الفيزيقي وحده دون سائر العلوم كالبيولوجيا وغيرها. وفي عام 1891م نشر ديوي مؤلفه الشهير "تخوم النظرية النقدية للأخلاق الإنساني" الذي يهدف إلى التحكم حيث يكشف لنا من خلاله عن اهتمام داروين بالذكاء الملموس للفعل الإنساني من الناحيتين التطورية والاجتماعية في مقابل سيطرة النزعة المثالية الهيجلية المطلقة الخاصة بعقل كوني يضع خططا وبرامج للأشياء والموضوعات. وفي عام 1894م ظهر له مؤلف آخر بعنوان: "دراسات في الأخلاق" كان بمثابة نواة نزعته البراجماتية المتطورة، وتدور هذه الدراسة حول فكرة مؤداها أن الذكاء الإنساني هو توسط بين الدوافع النظرية الخاصة ونتائج

إجرائها، كما دفع العملية الأخلاقية في العملية الكونية بمعنى أنه وضع المجتمع الإنساني في الطبيعة.

وفي 1902م نشر ديوي مقالة بعنوان: "المنهج التطوري مطبقا على الأخلاق" وفيه أكد ديوي على أن المنهج التطوري المطبق على الأخلاق إنما هو وسيلة أو أداة للبحث والتفسير. وهذا المنهج يتناول القيم الروحية ويبصرنا بالعمليات والظروف والأحوال التي تحدث من أجل الأخلاق. وفي عام 1908م أصدر ديوي بالاشتراك مع زميله جيمس تافتس وفيه أعاد ديوي صياغة كل أفكاره الأخلاقية التي عرضها من قبل. وفيه نلاحظ تطبيق المدخل الدارويني على مجال الأخلاق، إذ يؤكد على الأساس البيولوجي للحياة والسلوك الإنساني. وهذا ما عبر عنه ديوي بقوله: "لقد أكدت مرارا على أن مفتاح أي نظرية فلسفية عن الخبرة تتبثق بالدرجة الأولى من عمليات وظائف الحياة ومن حيث أن هذه الحياة، تنكشف لنا من خلال البيولوجيا" (Dewey, 1939 : 530).

ماهية الأخلاق ودورها ومراحل تطورها:

في البداية نطرح التساؤل الآتي: ما هي طبيعة ووظيفة الأخلاق عند ديوي؟ وكيف تنشأ المشكلة الأخلاقية؟

إن الفلسفة الأخلاقية عند جون ديوي ليست تحليلا للخير أو الواجب، ويعبر عن ذلك بقوله: "ليست المبادئ الأخلاقية أوامر للفعل أو لتجنب الفعل بطريقة مفترضة، ولكنها وسائل أو سبل تمكن كل فرد من أن يضع لنفسه تحليلا لأشكال الخير والشر في موقف معين والذي يجد نفسه داخلا فيه" (Dewey, 1909:309)، ويترتب على ذلك أن يصبح موضوع الأخلاق عند ديوي هو سلوك الناس، وهدفها هو أن نضع على نحو عام الفرق بين السلوك الحميد والسلوك السيئ من هنا

تتبدى لنا مهمة الأخلاق. فالمهمة الأولى: "هي أن نفهم طبيعة هذه الكائنات العضوية البيولوجية التي يتألف من مجموع سلوكها السياق الاجتماعي، والمهمة الثانية: هي أن نفهم أنواع المواقف المشكلة التي تدفعنا إلى أن نحاول التفرقة بين السلوك الحميد والسلوك السيئ ومتى قمنا بهاتين المهمتين نكون بذلك في وضع يتيح لنا أن نضع الفارق بين الخير والشر(تروتسكي ، 1985: 17)، وهكذا يتبين لنا أن للأخلاق عند ديوي علاقة بجميع أنواع الأنشطة التي تدخل في إمكانيات الاختيار، إذ أن الأخلاق لا يمكن لها أن تتفصل عن السلوك الإنساني ومن ثمة تصبح عملية مستمرة دائما وليست انجازا ثابتا لا يتغير.

وبهذا المعنى تتطوي الأخلاق على الناحيتين الاجتماعية والإنسانية معا. فهي إنسانية لأنها أقرب المواد جميعا إلى الطبيعة الإنسانية. ومن ثم فهي ليست لاهوتية ولا ميتافيزيقية ولا رياضية، بل لها علاقة مباشرة بالطبيعة الإنسانية. وهذه الطبيعة تعيش وتعمل في بيئة لأن الأخلاق ليست ميدانا منفصلا منعزلا ولكنها معرفة مادية بيولوجية تاريخية وضعت في محتوى إنساني حيث تضيء نشاطات الإنسان وترشدها، والأخلاق إجتماعية لأنها ترتبط ارتباطا وثيقا بالظروف والشروط الإجتماعية وبالسلوك الإنساني ونتائجه، أو بمعنى آخر فهي إجتماعية لأنها لا تحصر السيرة الفاضلة في داخل الفرد بينه وبين نفسه بل تتعلق بالإنسان في المجتمع الذي يعيش فيه، كما أن الحكم الأخلاقي والمسؤولية الأخلاقية هي العمل التي تخلقه البيئة داخل أنفسنا. وهي إجتماعية من باب الواقع لا من باب ما ينبغي أن يكون لذا يرى ديوي أنه لما كانت الأخلاق إنسانية نموا وإجتماعية

فلا بد للمفاهيم والعمليات الأخلاقية من أن تنم وطبيعيا في كل ظروف الحياة الإنسانية.

وفكرة النمو عند فيلسوفنا هي فكرة بيولوجية بالدرجة الأولى ولها دلالاتها وأهميتها في تشكيل مفهومه عن القيم والأخلاق. لقد جعل من كلمة النمو لها من هدف إلا تهيئة الظروف المواتية لهذا النمو لقدرات الفرد (أميرة حلمي مطر، 1985: 127). ويؤكد ديوي على ذلك بقوله: "إن النمو في حد ذاته هو الغاية الأخلاقية، وبذلك تصان الحياة الخلقية من السقوط في الشكليات والتكرار الصارم ومن ثم تتسم هذه العملية بالحيوية" (ديوي، 1959: 278-279)، فعملية النمو إذا عملية متصلة، وبذا تصبح عملية ترق من الناحية الجسمية والفكرية والعقلية.

ولكن هل يعني ذلك أنه يمكن لتلك العملية (النمو) أن تصل بنا إلى فكرة مثالية عن الخير والقيم المطلقة؟ في الحقيقة ليست بالضرورة أن تبلغ عملية النمو عند ديوي قائمة كاملة لأشكال الخير والقيم وذلك لأنه لا يمكن تجسيد النمو في فكرة ويرجع ذلك إلى أن عملية النمو تتسم بالفاعلية بدليل أن مثالية الحصول على المعرفة والثقافة ليس هو نهاية المطاف أي ليس هو الغاية، بل أنها أدوات ووسائل لعملية النمو وإستمراريتها. فالنمو وحده هو الخير وهو الغاية أيضا، فلا مجال للقول بأن للنمو قيما مطلقة أو أفكارا مثالية. والمقصود من النمو التحسن والتقدم "كل صفة يقال عنها أنها خير، تقدر بحسب ما تؤدي إليه من تحسن في أحوال الأدوية والشرور التي يعانها الناس في الوقت الحاضر" (الأهواني، 1968: 135)، ولا تكون الصحة مثلا من حيث

هي غاية هي الخير والهدف، بل الخير والهدف هما التحسن المنشود في الصحة، وهو عملية متصلة مستمرة.

وحسب ديوي هناك مرحلتين من مراحل النمو الأخلاقي، أولهما الأخلاق التي يكون أساسها العادات، وهي تتسم بطابع الجمود وعدم القابلية للتغير وتضاد بعضها للبعض الآخر، وهي التي يكون الفرد فيها خاضعا لنفوذ الجماعة وتأثيرها يخضع لعاداتها وتقاليدها خضوعا لاشعوريا يطبعه بطابع روتيني لا يترك له مجالا للتفكير، حيث يقول: "فنحن نعرف معهم، وهذا دليل وجود الضمير، كأن مجلسا قد انعقد في داخل صدورنا لمناقشة الأفعال المقترحة والمؤدات واستحسانها أو إستهجانها، وبذلك ينتقل الموجود في الخارج ليصبح محكمة تنصب في قلوبنا" (ديوي، 1963: 99-100).

وهذا يفسر حسب -ديوي- أن نشأة وتكون الضمير مصدره المجتمع والدليل على ذلك أثر العرف على العادة، وأثر هذه الأخيرة على الفكر الأمر الذي يجعل الأخلاق تنتقل إلى مرحلة - وهي الثانية تتصل بالفرد وليس بالجماعة - وهي تلك التي يسميها ديوي مرحلة الأخلاق التأملية والتي فيها يتخير الفرد أحكامه الخلقية عن حرية واختيار، مدافعا عنها وساعيا إلى تقدم مجتمعه بها، ويرى ديوي أن للتحول للمرحلة الثانية ينعكس على الجماعة التي يعيش فيها الأفراد، من حيث نظمها وعاداتها وتقاليدها وقيمها الأمر الذي يؤدي إلى صراع بين سلطة وميول المجتمع، وبين استقلال الفرد وميوله، كما يحدث صراع آخر بين النظام الموجود في المجتمع الذي يحقق للأفراد حاجاتهم عن طريق العادات والتقاليد السائدة، بقليل من التفكير، وبين العادات والتقاليد المزمع تكوينها وهو صدام يبدو بين الفرد والمجتمع، كما

يبدو بين الجماعات المختلفة داخل المجتمع الكبير، وهو ذلك الذي يتبدى بين الشباب والشيوخ وبين طبقة الملاك والأجراء وبين النساء والرجال.

حقيقة المسألة الأخلاقية:

متى يكون الموقف الذي يواجهه الإنسان موقفا أخلاقيا بالدرجة الأولى؟ أو بعبارة أخرى، متى تظهر المشكلة الأخلاقية عند ديوي؟ إذا تأملنا في سلوك الإنسان لوجدناه يمتاز بالتنوع والاختلاف والتجدد كما يمتاز بالمرونة والتكيف مع مختلف المواقف والظروف والسبب في ذلك يعود إلى مختلف الدوافع والبواعث وبالتالي يعود إلى مختلف القيم. فهناك قيم عادية تعبر عن ميول ورغبات الإنسان، كتفضيله لثياب على آخر أو فاكهة على أخرى وكتفضيله لنزهة في مكان دون آخر، فهذه القيم خاصة. لكن الإنسان لا يعيش حسب هذه القيم فقط، بل يعيش حسب قيم أخرى (كلية) تتجاوز الميول والرغبات الفردية، وهي القيم الأخلاقية التي تتصف بالالتزام، والتي تعتبر مصدرا لمختلف الواجبات.

إذا هناك فرق واضح بين القيم النفسية العادية والقيم الأخلاقية، ذلك أن الإنسان قد يعيش صراعا نفسيا بسبب تناقض رغبتين، لأن كليتهما تحاول أن تتغلب على الأخرى وتحل محلها. غير أن هذا النوع من الصراع، لا يطرح مشكلة أخلاقية حادة على الإنسان، إنما الصراع الذي يطرحها، هو الذي يكون بين قيمتين أخلاقيتين، أو واجبين متعارضين كلاهما يستحق العناية والتقدير كواجب الفرد نحو أسرته، وواجبه نحو وطنه، ولاشك في أن التعارض بين هذين الواجبين أو بين غيرهما من الواجبات هو ما يثير مشكلة

أخلاقية حقيقية لدى الفرد لأن كليهما إلزامي. وهذا ما أوضحه ديوي بقوله: "لا تظهر المشكلة الأخلاقية إلا حين يتعرض الإنسان لموقف تتعارض فيه الغايات ويحار المرء أيها يختار وأي الوسائل يتبعها ليختار ما يهمه من الغايات" (Dewey, 1947: 183)، الذي يواجهه الإنسان لن يكون أخلاقيا معنى هذا أن الموقف ومن ثم لن يكون ثمة مشكلة أخلاقية، إلا إذا كان هذا الموقف ذاته يحمل الإنسان في طياته ضربا من التعارض والاضطراب في الغايات حيرة وترددا عن أي هذه الغايات يختار. أما إذا كان هذا الموقف ينطوي على غاية واحدة ومحددة فلن يكون عندئذ موقفا أخلاقيا إنه كما يقول ديوي: "مسلك فني أكثر منه أمرا أخلاقيا إنه ذوق ومهارة، وإيثار شخصي، فهناك طرق مختلفة كثيرة تؤدي إلى نتائج كثيرة، وإيثار هذا الطريق دون ذاك على أساس أن أي واحد منهما يؤدي بالفعل إلى الغاية، أمر فكري أو جمالي أو عملي أكثر منه أمرا أخلاقيا. فقد يحصل أن أوتر منظرا بحريا على منظر جبلي، وهذا ضرب من الاهتمام الجمالي وقد أرغب في استخدام وقت المشي للتفكير وأجد الطريق الزراعي أبعد عن التلهي، وهذا أمر يرجع إلى الإقتصاد الفكري، أو أرى من الأفضل التريض بالذهاب إلى مجرى الماء وهذه مسألة حكمة عملية، دع أي غاية من هذه الغايات الجمالية أو الفكرية أو الصحية تقوم وحدها تجد أنها صالحة وفي موضعها، ولكن المشكل الأخلاقية لا تظهر للعيان" (Dewey, 1947: 209) ويصبح جوهر المشكلة الأخلاقية، مشكلة قيم متعارضة، تبحث في طبيعة القيم والمرغوب فيه، وما لابد للفرد من أن يحكم به، وقد نحل الموقف طبقا لما تمليه علينا الدوافع الحيوانية، وعندئذ لا يكون الحل أخلاقيا، ولا يسمى صاحبه رجلا

فاضلا ، وإنما الرجل الفاضل هو الذي يضع معيارا يزن به الأعمال إذا كانت حسنة أو قبيحة ، ولا يكتفي بذلك بل لابد من إختبار هذه المعايير. ونحن نسمي الرجل فاضلا حين يتحلى بالفضائل الذهبية المشهورة وهي الحكمة والشجاعة والعفة والعدالة.

وينظر ديوي إلى هذه الأربعة وفق مذهبه ، أي من جهة الموقف الأخلاقي ، فهي كلها مظاهر مختلفة لموقف واحد كلي ، وفي الوقت نفسه ليست أي فضيلة قائمة بذاتها ، بل "هي مناهج تتجه بالمرء نحو السلوك فصاحب القلب الصادق والاهتمام الشامل يتصف بالعدالة والمحبة ، وصاحب النشاط الدائم يتصف بالشجاعة والعزم والقوة ، ومن يهتم بالخير كان حكيما والعفة طلب اللذة غير ممتزجة بشيء آخر. فهي فضائل تتصل بالطريقة أكثر مما تتعلق بالموضوع " (الأهواني ، 196 : 127) ، فحسب ديوي كل موقف أخلاقي يعد فذ في بابه وكل خير فهو خاص بموقف معين ، "فلا مناص من العمل على استكشاف الخير اللازم لهذا الموقف المعين وإبرازه والحصول عليه على أساس ذلك النقص الذي يراد سده ، ومصدر الشر الذي يراد علاجه" (ديوي ، 1959 : 178 - 179) ، وبصيغة أخرى ليس ثمة خيرا مطلق ولا شر مطلق ، بل هناك مواقف وكل موقف يمتاز بطابعه الخيري الخاص "فالخير فريد في الطريقة نفسها التي يعرض بها ، لأنه العزم على حل موقف متميز ومعقد تتنافس فيه العادات والدوافع تنافسا لا يتكرر أبدا بشكل واحد وإنما يمكن أن يتكرر الخير نفسه مرتين بالعادة الجامدة التي تبلغ حد الثبات ، وفي مثل هذا الروتين الجامد لا يوجد الشعور البتة لا بالخير ولا بالشر" (Dewey, 1922:211) ، لذا نجده في كتابه (تجديد في الفلسفة) قد وضع فصلا خاصا يدعو فيه إلى ضرورة الرجوع إلى

المواقف الفعلية الفردية لا إلى سلطة عليا عند النظر في الأخلاق. وهذا لا يعني أن العملية الأخلاقية تنشأ من المقابلة بين ما هو خير وما هو شر أو بين ما هو صواب وما هو خطأ، وذلك لأنه إذا وضعت بدائل أو باعتبارها خيرا أم شرا صوابا أم خطأ، خيارات الفعل، فلن يكون ثمة بالفعل أي مشكلة أخلاقية أمامنا.

ولهذا فإن ديوي لم يفرض أو أهداف وغايات بل كانت كل محاولاته أو يدعي خيارات أو بدائل في هذا الصدد "أن يدمج كل ما له قيمة في الخبرة الإنسانية التي لن تكتمل إلا إذا تيسر لنا معرفة الإنسان وسلوكه والطبيعة وتواصلهما العضوي" (195, Gouinlock, 1994)، والسلوك في اعتقاد ديوي ما هو إلا تفاعل بين الإنسان والبيئة، بين ما هو طبيعي وما هو اجتماعي، فهناك قوى داخل الإنسان وقوى خارجية عنه، والخير في التلاؤم البصير بين الجانبين. والمقصود بالتلاؤم البصير تدخل الروية في توجيه السلوك. وهذا يعني أن الفعل الخلقي عند ديوي يقتضي أن يكون موقفا يتسم بالحرية، أي أن يقوم على الروية والاختيار. والروية في الفعل الخلقي تتمثل في تصور سبل النشاط الممكنة، ثم تمحيصها، ثم النظر في النتائج التي تترتب على كل منها، ولا يقصد "ديوي" بالروية ما تحققه الأفعال من نتائج كما يزعم أصحاب مذهب المنفعة. فيقول: "ليست وظيفة الروية أن تؤدي إلى الفعل بإبراز أقصى نفعي مكن الحصول عليه، بل وظيفتها حل مشكلات العمل الراهن، وأن تعيد إليه الإتصال وترد له الانسجام، وأن تستخدم الدوافع الضائعة وتوجه العادات نحو الطريق الصحيح. ولتحقيق هذه الغاية تنقطع الروية إلى ملاحظة الشروط الراهنة

وتذكر المواقف السابقة. تبدأ الروية من موقف مضطرب وتنتهي باختيار مسلك للعمل تشق طريقها فيه.. (الأهواني ، 1968 : 133).

ويواصل ديوي نقده لمذهب المنفعة الذي عرف بالنظرية الحسابية في الأخلاق خاصة في عنصر الروية ويرجع الأمر إلى الإستجابة الطبيعية للبيئة فيقول: "أول حقيقة أن الإنسان كائن يستجيب في أفعاله لمؤثرات البيئة ، وتتعد هذه الحقيقة عند الروية ولكنها لا تلغى بكل تأكيد ، فالوليد لا يتحرك نحو ثدي أمه بسبب ترجيح حساب مزايا الدفء والغذاء على آلام المجهود ، ولا يسعى المهندس لرسم الخطط أو الطبيب لبلوغ الشفاء بسبب حساب المزايا والمساوئ" (الأهواني ، 1968 : 133)، وهكذا تصبح الروية والإختيار نظر في الحاضر من أجل الكشف عن أفضل السبل التي يسلكها المرء وهذا يترتب عنه بلا شك نتائج في المستقبل، وبذلك ترتد نظرية ديوي الأخلاقية إلى نظرية في القيمة، بإعتبارها تتجاوز كونها مجرد استجابة لرغبات شخصية، لتصبح أحكاما موضوعية بإمكانها أن ترتفع إلى مرتبة الأحكام العلمية. وهذا ما أشار إليه ديوي "فأحكام القيمة أحكام عن شروط موضوعات الخبرة ونتائجها ، أحكام عما ينبغي أن ينظم تكوين رغباتنا وعواطفنا وملذاتنا". (الأهواني ، 1968 : 133) ذلك أن الأخلاق تعني الحكم على معنى ومغزى ما نفعله، وأن نستخدم ذلك الحكم في توجيه ما نعمل ولا يتأتى ذلك من الضمير أو العقل، وإنما يكون بتمية مهارات وعادات فكرية تساعدنا على تقدير عناصر الموقف وبديلات السلوك، وتساعدنا على ألا نتحيز في تصور إتجاه نشاطنا" (ديوي ، 1963 : 225 - 226)، ويجب أن يعبر الفعل الخلقي عند ديوي عن خلق ثابت نسبيا ، ذلك أن الثبات يعبر عن النضج

والنسبية مرتبطة بمستوى نمو الشخصية، وبين النمو والنضج تتعدل الشخصية، ذلك "أن كل فعل خلقي جزء من سلوك أكبر تنحو إليه الشخصية". (Dewey, 1909: 176- 179) وترتب على ذلك أن أصبحت الأخلاق مرتبطة ارتباطا قويا بالطبيعة البشرية، وهذا ما تجسد فعلا في مؤلف ديوي "الطبيعة البشرية والسلوك" إذ يرى أن الأخلاق تتعلق بصفة عامة بالسيطرة على الطبيعة البشرية والإرتباط بها، لأن فصلها عن تلك الطبيعة سيؤدي حتما إلى فصل الإنسان عن الطبيعة المادية وعن العادات والتقاليد الاجتماعية. أما "الأخلاق التي تقوم على دراسة الطبيعة البشرية، بدلا من إغفالها. تجد الحقائق الإنسانية الخاصة بالإنسان مستمرة مع الحقائق الخاصة ببقية الطبيعة وتربط بذلك بين الأخلاق والطبيعة وعلم الأحياء ودراسة التاريخ والقانون والاقتصاد" (ديوي جون، 1963: 35).

إخضاع ديوي المشكلات الأخلاقية للمنهج العلمي:

لا يقتصر هدف ديوي من منهجه العلمي التجريبي تطبيقه على العلوم الطبيعية والمجالات المادية فحسب، بل إنه طالبنا بتعميمه على كل الدراسات الإنسانية، والجدير بالذكر أن هذه المحاولة تعد إمتداد لمحاولات الفلسفة الوضعية وعلى رأسها "أوغست كونت" الذي أراد أن يصل في العلوم الإنسانية عموما إلى قوانين علمية يمكن على أساسها السيطرة على الظواهر الطبيعية من أجل تغييرها وإصلاح الحياة الإنسانية" (أميرة حلمي مطر، 1985: 124). وقد يرجع ذلك إلى اطلاع فيلسوفنا على مؤلفات أوغست كونت وفلسفته إلا أنه لم يتأثر بنتائجها بقدر ما تأثر بروحها وبضرورة تطبيق العلم على المجتمع وأنظمتها والصلة بين الظروف الاجتماعية وبين العلم والفلسفة، رغم

اعتقاد الكثيرين من صعوبة اصطناع المنهج التجريبي في المسائل الاجتماعية، ومبرر هذا، هو أننا نثق دائماً في المنهج التجريبي في تكوين معتقداتنا عن الأمور التي ليست لها صلة بالحياة الإنسانية لكننا لا نثق به في الأمور الأخلاقية والجمالية والسياسية والاقتصادية وهذا يعد في نظر ديوي لغوا لا طائل من ورائه ونظرة سلبية للمنهج التجريبي الذي يعد - كما رأينا - جزءاً من خبرة كل إنسان.

فلقد كان المذهب التجريبي وإنجازاته ولا يزال يحاول شق طريق له داخل الفلسفة نتيجة للنزعة الإثنية القديمة الراسخة التي كانت تفصل بين العلم والأخلاق، أو بمعنى أدق بين موضوعات الخبرة وموضوعات الأشياء في ذاتها التي تختص بما وراء الطبيعة. ومن هذا المنطلق استلزم تجديد الفلسفة عند ديوي بداية معالجة وتفسير الخبرة والقيم على نحو تجريبي، والعمل على تطبيق نتائج هذا المنهج وفق النظرة الآتية على الواقع الاجتماعي، وهذا ما عبر عنه ديوي بقوله: "ليس التجديد المنشود الذي ندعو إليه مجرد تطبيق الذكاء من حيث هو أداة جاهزة، ولكنه تجديد يقتضينا أن ننقل إلى البحث في الشؤون الإنسانية والأخلاقية الطريقة التي أوصلتنا إلى فهم الطبيعة الفيزيقية على النحو الذي نفهمه به الآن، أي طريقة الملاحظة والتجريب" (9) : (Dewey, 1920). ولقد أدى إيمان فيلسوفنا الراسخ لإمكانات العلم وقدراته في حياتنا اليومية إلى جعل مادة المشكلات الاجتماعية فرعاً من فروع العلم الطبيعي ومن هنا نجده، يوحد بين طبيعة الحكم العلمي والخلقي " ذلك لأن الأحكام العلمية لها نفس الخصائص المنطقية التي للأحكام الأخلاقية، كما أنهما يرجعان إلى حالات فردية وإلى أفعال ويتطوران إلى كليات عامة، ثم يعودان إلى التطبيق

إلى حالات فردية" (Dewey, 1947:216) ، وإذ يولي ديوي اهتمام ورغبة في توحيد منهج البحث في الأحكام العلمية والأحكام الخلقية "مرده لإشتقاقهما من مجرى واحد هو الخبرة الإنسانية، مما يوجب إحداث التكامل بينهما، والقضاء على الثنائية بين العقلي والعملي، أو بين العلم والأخلاق" (Dewey, 1947:234) ، الأحكام الخلقية إذا عند ديوي موضوعية منطقية، لا تختلف في ذلك عن الأحكام العلمية، مما يبعدها عن الغرائز كمفهوم ثابت وجامد، ويجعل منها ميدانا إنسانيا يعتمد على التفكير العلمي ويبني على الذكاء - من خلال "الروية" و"الاختيار" اللذين يوجهان سلوك الفرد الأمر الذي يؤدي إلى القول بالحرية التي تكتنف الحياة الخلقية، والتي بمقتضاها يصبح الأفراد قادرين على خلق وتطوير معاييرهم الخلقية، وتتمية القوانين والمؤسسات القائمة من خلال المسؤولية التي هي تبعة الحرية الأخلاقية كما دعا إلى ذلك ديوي. وبهذا يصبح كل من الحكم الخلقى والمسؤولية الأخلاقية حقيقتان هما يمثلان العمل الذي تخلقه البيئة داخل أنفسنا. وتصبح الحرية عند ديوي ليست قيمة مطلقة منفصلة عن مجرى الحياة بل هي استعداد أولي في الإنسان، أو جزء من تكويننا، بإعتبار ما لدينا من قدرة على النمو، وعمل القيام بمختل فالنشاط الذي يمكننا أن نوجهه حسبما نشاء، فالحرية الأخلاقية ليست موهبة فطرية بل مكتسبة فنحن نكون أحرارا بقدر إهتمامنا بإمكانيات النمو، وبقدر سعينا إلى تحقيق إمكانيات ذواتنا والعمل على تجنب الجمود وعدم التغيير. والقانون الأخلاقي عند ديوي شأنه شأن القانون العلمي، في كونه صيغة للطريقة التي نستجيب بها حين تعرض علينا ظروف خاصة، وفي إختيارنا لصحته بناء على نتائجه، لا

على طبيعته الباطنية، وذلك أن الاختيار القائم على النتائج اضبط من ذلك الذي يعتمد على قواعد عامة ثابتة فضلا عما يحققه من تقدم مستمر، لأن في إختيارنا لأفعال جديدة تجريب لنتائج جديدة، على حين أن ثبات المثل العليا والمعايير الأزلية في حد ذاته إنكار لإمكان النمو والتقدم. "الأفكار الخلقية إذن أفكار أو فروض توجه السلوك وتقوده، وتتوقف قيمتها على ما يترتب عليها من نتائج، حيث تختبر وتؤيد أو تعدل عن طريق هذه النتائج الحاصلة من العمل بها كأية أدوات فكرية" (ديوي، 2005: 305-307).

وهكذا يستبدل ديوي تصنيف الحقائق التقليدية من نظام التعريفات والأنواع السامية الثابتة، إلى نظام الفروض والقوانين وليس معنى - إدخال الطريقة العلمية في ميدان الأخلاق عند ديوي أن علم الأخلاق قد أصبح جزء من العلوم الطبيعية، ولكنه يعني أساسا أن طريقة البحث في العلوم الطبيعية يمكن أن تنتقل فكرتها ومنطقها إلى علم الأخلاق. ويقول ديوي إن الأحكام الخلقية أفكار أو فروض توجه السلوك، وتتوقف قيمتها على ما يترتب عليها من نتائج، بقوله هذا يكون قد ربط ربطا عضويا بين الوسائل والنتائج ذلك أن العلاقة المتبادلة بين الوسائل والنتائج هي التي تحدد السلوك المسئول الذكي، فالغايات أو النتائج تقوم بواسطة الوسائل المطلوبة لتحقيقها، والوسائل تقوم في ضوء الأهداف والنتائج التي تترتب على إستخدامها، وهكذا تتصل الوسائل بالغايات اتصالا مستمرا، والغايات تتكون من سلسلة الوسائل ولا يكون للغايات أساس بمعزل عن الوسائل، والوسائل أهداف في اللحظة الراهنة، والأهداف وسائل لأهداف جديدة" (موريس ميخائيل أسعد، 1963: 57).

وهكذا يمكننا القول أن الإنسان عندما يواجه موقفا معينا تتصارع فيه الحاجات والرغبات وتتنازع فيه القيم والأهداف، فإن الوصول إلى الخير المرتجى لهذا الموقف وإزالة الصراع وحل المشكلة يكون عن طريق البحث العلمي، "الذي يبدأ بتحديد المشكلة، ثم تجريب بعض الأفكار المقترحة على أنها وسائل لحل هذا الموقف، ثم نقارن بين مختلف النتائج التي توصلنا إليها، ونستقر في النهاية على فكرة منها، فنشرع في تجربتها لنرى مدى مطابقة النتائج الحاصلة للنتائج التي قدرناها عن طريق الأفكار، ثم نستخدم هذه الفكرة في حل المشكلة لنزيل ما بها من صعوبات" (Hook, 1939: 95- 96) وبما أن الأمور الأخلاقية تتعلق بالمستقبل لا بما حدث في الماضي على خلاف الأمور الطبيعية التي تتعلق بما حدث وكيف حدث، والتغيير الذي يحدث للأمور الطبيعية يتم بتغيير الظروف المحيطة بها وكذلك الحال في المسائل الأخلاقية إذا شئنا أن نغير خلق شخص ما فعلينا أن نغير الظروف الموضوعية التي تتدخل في تكوين عاداته وخلقها، وبهذا "يمكن أن تصبح الأخلاق علمية مادامت تخضع لمعيار موضوعي حين نقيس هذه الظروف الموضوعية، وما دمنا نستطيع تغييرها كما يحدث مع الظواهر الطبيعية" والأخلاق عند ديوي لا يمكن الفصل فيها بين ما هو ردي وما هو إجتماعي، إذ أنها تنشأ فردية في رغبات وإختيارات وميول تصدر عن سلوك، ثم تتحول إلى مجال إجتماعي أوسع، في تحقيقها ونتاجها.

خاتمة:

وقصارى القول إن الفيلسوف "جون ديوي" إهتدى إلى إعادة صياغة فلسفة جديدة على أنقاض بعض التيارات الفلسفية، ولهذا عمد

إلى مناقشة تلك الآراء سواء في الفلسفة اليونانية أو الفلسفة الحديثة، مستعينا في ذلك بالتطورات الحاصلة في العلم التجريبي.

وقد إبتعد ديوي تماما عن التصورات المثالية والمطلقة في نظرتة الأخلاقية، بل على العكس أنزل الأخلاق ومستوياتها من برجها العاجي، المثالي، والمطلق، إلى عالمنا الواقعي الذي نعيش فيه، ومن ثم جعل الأخلاق ميدانا مرتبطا بالبيئة الإجتماعية والمادية ولا تظهر إلا فيها، وأكد على أن الأخلاق التي يقصدها يجب أن تتبع من داخل اهتمام الإنسان. ولكون الأخلاق مصدرها المجتمع فإنها تعود إلى التربية لذلك قال ديوي إذا كانت موازين الأخلاق منحطة، فذلك ناشئ عن نقص في التربية التي يتلقاها الفرد في تفاعله مع بيئته الإجتماعية. ويرجع ذلك إلى تأكيده على ضرورة إعادة صياغة مقولة البقاء للأصلح في إطار البناء الإجتماعي الشامل حتى يتسنى لنا إدراك ما تنطوي عليه الأخلاق من سمة تطورية عبر التحولات الجوهرية في أحوال الإنسان وظروفه. نستدل أيضا أن ديوي قد استخدم المناهج التطورية ليكشف لنا عن كيفية تطور المجتمع المعقد الذي نعيشه، كما يكشف أيضا عن آثار النظم الأخلاقية الأولية التي ما زال لها وجود في حياتنا. إن التغيرات في العمليات الأخلاقية تعتمد اعتمادا أساسيا على التغيرات التي تحدث في المجتمع.

إن الخبرة الإنسانية ترتبط ارتباطا وثيقا بتصور "ديوي" لطبيعة الأخلاق، وهذا ما أكده عندما دعا إلى ضرورة المطالبة بجعل الخبرة مرشدا لنا في العلم والحياة الأخلاقية.

لقد إستطاع ديوي أن يطبق بنجاح منهجه العلمي على الأخلاق، إذ رأى أن كل الحالات الأخلاقية قابلة لأن تحول إلى حالات تجريبية،

ومن ثم أكد على أن منهج الأخلاق منهج علمي بالدرجة الأولى، ومحاولة تطبيقه مناهج العلم على مشكلات الأخلاق، يرجع إلى إعتقاده الراسخ أن مناهج العلم هي الوحيدة القادرة على ضمان استمرار تكيف القيم مع التغيرات والمتطلبات التي يحتاجها الإنسان. ومن هنا رفض ديوي تلك المقولة التي تذهب إلى أن تحول المنهج العلمي من دراسة العلوم الفيزيائية إلى دراسة القضايا الإنسانية ينطوي على صعوبات جمة، إذ أن السلوك الإنساني أكثر تعقيدا من سلوك الموضوعات الطبيعية، إلا أن ديوي قد رفض هذه النظرة رفضا قاطعا وحجته في ذلك أنه ليس ثمة اختلاف في النوع بين العالم الطبيعي والطبيعة الإنسانية وهذا ما دعاه إلى إلقاء مسؤولية تخلف الأخلاق عن ركب الحضارة والتكنولوجيا على عاتق الفلاسفة الأخلاقيين وعلى اللاهوتيين. لهذا كان يعيب على أخلاق الماضي كونها تقوم على قواعد تحكمية لا على فهم علمي للإنسان، وهذا ما دفعه إلى التأكيد على أنه لكي نصلح ذلك، لابد من الاعتماد على المعرفة العلمية وحدها. والاعتراف بأن الحياة الأخلاقية تجري في عالم الطبيعة وعالم المجتمع معا فالطبيعة الإنسانية متصلة مع سائر الطبيعة المادية. ونتيجة لهذا ل بد لعلم الأخلاق أن يكون وثيق الصلة بكل من علم الفيزياء والبيولوجيا، وسائر العلوم الاجتماعية المختلفة وهذا هو محور مؤلفه "الطبيعة البشرية والسلوك".

ومن هنا يمكننا القول أن الأخلاق عند ديوي بهذا المعنى أخلاق طبيعية، متطبعة بالطابع البيولوجي. وهي ليست إلا تجسيدا للوقائع البيولوجية والعلمية بالإضافة إلى الوقائع الثقافية المكتسبة التي تعد سياقاً اجتماعياً يدفع الإنسان نحو الحركة والتقدم، أراد أن

يكون له نسقا فلسفيا، ومنهجيا أداتيا، متميزا عن البرجماتية، يلائم التفكير في القرن العشرين. وتبقى أهم نتيجة نصل إليها هي التأكيد على جغرافية الفكر، ذلك أن نقطة انطلاق أي مفكر ترتبط بظروف بلاده وسمات شعبه الذي يفكر له، لذا علينا أن ندرك ونعي أن نمط النمو الحضاري الغربي ليس هو النمط النموذجي للتقدم، فللغرب تاريخه، وقيمه، وتوجهاته، التي قد تختلف عن نظائرها لدينا، فقط علينا أن نثق في قدراتنا ونشجع عقولنا، في ضوء تراثنا الحضاري، لنبدع قيمنا الخاصة.

قائمة المصادر والمراجع:

- 1 -الأهواني أحمد فؤاد، (1968)، جون ديوي، سلسلة نوابغ الفكر الغربي، ط2، دار المعارف، القاهرة، مصر.
- 2 -تروتسكي ليون، وديوي جون، (1985)، أخلاقهم وأخلاقنا، وجهتا النظر الماركسية والليبرالية في المثل الأخلاقية، د. ط، ترسمير عبده، منشورات دار الأفق الجديدة، بيروت، لبنان.
- 3 -حلمي مطر أميرة، (1985)، في الفلسفة السياسية، ط1، دار الثقافة للنشر، القاهرة، مصر.
- 4 -ديوي جون، (1959)، تجديد في الفلسفة، د. ط، ترجمة: أمين مرسى قنديل وزكي نجيب محمود، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.
- 5 -ديوي جون، (1963)، الطبيعة البشرية والسلوك الإنساني، تر: محمد لبيب النجيجي، مؤسسة الخانجي، القاهرة، ط3.
- 6 -ديوي جون، (2015)، البحث عن اليقين، د. ط، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر.
- 7 -زيدان، عبدالكريم، (1408هـ). أصول الدعوة، ط3، دار العرفان، القاهرة، مصر.

- 8 - طه عبد الرحمن، (2000)، سؤال الأخلاق، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب.
- 9 - عطية أحمد عبد الحليم، (2007)، الفكر الأخلاقي الجديد ودراسات أخرى، د.ط، دار الثقافة العربية، القاهرة، مصر.
- 10 - الفيروز أبادي، (2005)، القاموس المحيط، ط8، فصل الخاء: باب القاف، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
- 11 - محمود زكي نجيب، (2000)، قيم من التراث، د.ط، دار الشروق، القاهرة مصر.
- 12 - ابن مسكويه، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، ط2، تقديم حسن تميم، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.
- 13 - ابن منظور، (1992)، لسان العرب، مج2، ط3، مادة: خلق، دار صادر، بيروت، لبنان.
- 14 - موريس ميخائيل أسعد، (1963)، معنى الحرية ومكانتها في فلسفة جون ديوي التربوية، رسالة ماجستير جامعة عين شمس، قسم الفلسفة، القاهرة، مصر.
- 15 - ياجين المقداد، (1996)، التربية الأخلاقية في الإسلام، ط2، دار عالم الكتب، الرياض، السعودية.
- 16- Dewey, J , 1922, *Human nature and conduct* ,HENRY HOLT AND COMPANY, NEW YORK, U. S. A.
- 17- Dewey, J , 1920 , *Reconstruction in philosophy*, HENRY HOLT AND COMPANY, NEW YORK, U. S. A.
- 18- Dewey. j, 1947 , *problem of men*, HENRY HOLT AND COMPANY, NEW YORK, U. S. A.
- 19- Dewey, J,1939, *Experience Knowledge and value*; Chicago: Northwestern University, U.SA.
- 20- Dewey, J and JAMES; *Tufts, Ethics* ; HENRY HOLT AND COMPANY London; GEORGE BELL AND SONS ; NEW YORK;1909.
- 21- James Gouinlock, 1994,*The Moral Writings of John Dewey* ,HENRY HOLT AND COMPANY, NEW YORK, U. S. A.

- 22- GEORGE DYKHUIZEN; 1957; **JOHN DEWEY: AMERICAN PHILOSOPHER AND EDUCATOR** ; Southern Illinois University Press ; the southern region of the U.S. state of Illinois .
- 23- Morton White;1973; **Pragmatism and the American mind**; Oxford University Press, London ;Great Britain and Northern Ireland .

❧.....❧